رؤية نقدية لكتاب
ملامح النقد العربي في القديم

على، عبدالرحمن عبدالحميد.
ملامح النقد العربى فى القديم/ عبدالرحمن عبدالحميد على. - القاهرة : دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٨.
٢٥٦ص ؛ ٢٤سم.
تدمك ٤ - ٢٣٨ - ٣٥٠ - ٩٧٧

عرض وتحليل
د. قطب عبد العزيز بسيوني
كلية اللغات والترجمة
جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا

للمؤلف كتب أخرى في الدراسات الأدبية والنقد منها: ملامح النصوص الأدبية في العصر الحديث سنة ٢٠٠٤، ومصر (مجموعة قصصية، سنة ١٩٩٨) والأدب العربي - ملامح النقد العربي ....

وهذا الكتاب الذي نعرض له يبين أهم قضايا النقد الأدبي ومذاهبه عند العرب، وما كان ينتهجه النقاد، وتناول النصوص الأدبية ورؤية كل ناقد من حيث التنظير والتطبيق حتى تكونت بنية النقد الأدبي على مرّ العصور، وكتب لها أن تقف بجوار علوم أخرى لها رسوخها في الذاكرة العربية.

وهو على هذا النهج يتوقف عند القضايا النقدية التي ظهرت عند العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي وأثرها في محيط النقد العربي، وأخيراً يعرض المؤلف لنماذج نقدية لبعض نقادنا العرب من خلال كتبهم التي ألفوها في العصر العباسي.

ويذكر المؤلف في تناوله لمناهج النقد القديم: أن النقد قديماً كان يتعامل مع النص الأدبي من عدة زوايا أهمها: الشاعر، ولغته، وأسلوبه، وحياته وبيئته، وما لها من تأثير عليه. وينظر كذلك إلى أساتذته ومدى تلقيه عنهم، ويعمل فكره في العمل الأدبي وصورته هل أدى

هدفه أم لا؟ ثم مدى جهد الشاعر في عملية الخلق والإبداع والصورة التي تم بها هذا العمل الخلاق .

وذكر لنا النقد العربي تجربة زهير ، وامرئ القيس ، وذي الرمة ، والبحتري ، وأبي تمام وغيرهم من خلال شعرهم مما يعد بحق أنموذجاً حياً في معرفة نتاج هؤلاء الشعراء .

أما العصر الحديث فقد استحدث أموراً جديدة تدل على قوة الشخصية ومعرفة الداء ومنها علم النفس الذي يصف الأشياء على ما هي عليه في الواقع دون أن يتعرض لوصفها بالحسن أو القبح أو الصحة والفساد . وكذلك يتناول عملية الخلق الأدبي وطبيعتها من الوجهة النفسية ، والعناصر الشعورية والحوافز الداخلية والخارجية التي أوجدته ، ودلالالته على نفسية صاحبه ومدى تأثر الآخرين به ، ومدى صدق إحساس الكاتب . ولدى كل ناقد ما يقوله في القديم والحديث .

وكذلك استثمر النقد الحديث منجزات علم الاجتماع بما أفرزه ومنجزات علم الجمال وغيرها ليستوي عند النقد التطبيقي الذي يبحث عن النص وصحته ، وحياة الأدب والنص وعن الزمان الذي انحدر منه النص وعوامل التاريخ التى أثرت عليه ومكانة الشاعر الاجتماعية وأسلوبه وطريقته ، ومذهبه الأدبي ومدى جودة النص وقيمته الفنية وعلى هذا يجب أن يتقمص الناقد شخصية المترجم والمفهرس والخطاط والمؤرخ والعالم البليغ حتى يحيط بالنص من جميع زواياه لأن إشكاليات النص تند عن الحصر .

النقد القديم :

النقد القديم في العصر الجاهلي لم يكن أكثر من مآخذ يفطن إليها الشعراء في الشعر ، ولم يكن أكثر من ملاحظات يلحظها بعضهم على بعض ، وما كان لهم من أصل إلا سليقتهم وما طبعوا عليه ، فجاءت أحكام النقاد ذاتية تخضع للذائقة اللغوية لكل ناقد أو شاعر موهوب ولم تكن هناك أحكام مبررة تحكمها منهجية أو مرجعية فكرية أو مقولة نظرية أو فكرة معروفة .

ولم تتجه إلى منهج الشاعر وهدفه وأسلوبه ومدى صدقه في قصائده وقوته في تناول الفكرة والتعبير عنها ، وشاعت أوصاف للشاعر بالفحولة مرة وأخرى أنه أفضل من غيره ، أو الإشادة بشاعر دون سواه أو النظر إلى بيت واحد من القصيدة وبراعته في شعره وغير ذلك من الأحكام الذاتية المحضة بعيداً عن الموضوعية التي يعتمد عليها الناقد الأدبي في صقل الشعر والحكم عليه وبيان ما فيه من جمال آخاذ أو قبح ينفر من الذوق السليم .

النقد في العصر الأموي:

ظهر في مجالس الخلفاء التي أقاموها في قصورهم دعماً للشعر وحرصاً على سماعه ، والتزود منه ، ونشره بين الناس ، وفي مجالس الخاصة من الناس الذين أقبلوا على الشعر ، وأقاموا له الندوات ، وفاضلوا بين الشعراء تأكيداً لأصالة موهبتهم ، وذوقهم العربي الأصيل .

وظهر كذلك في أحكام النحويين واللغويين الذين كانوا في أواخر هذا العصر ؛ وقد تناولوا فيها الشعر العربي من خلال نظراتهم إليه .

وكانت بعض نظرات النقاد تتجه لأبيات الشعر ، وأخرى إلى الموسيقا ، وبعضها إلى الصياغة ، أو المعنى ، وكلها أعطت الملامح الأصيلة للنقد في هذا العصر .

أما نقد أصحاب اللغة والنحو فكان يتمثل في التمسك بالقواعد النحوية واللغوية وقد حاولوا أن يؤكدوا من خلال نقدهم العناية بصحة الشعر ، وتوضيح بنائه ، ومعرفة أعاريضه ، وأضربه وقوافيه ، وسلامته من الخطأ وعدم الخروج على قواعد النحو المعروفة .

ولكن أكثر ما ورد من نقد في مجالس معاوية توقف عند المعاني ولم يتناول أساليب الشعر وألفاظه وخياله إلا في القليل النادر ، فقد كانت هذه المرحلة مرحلة تأسيس ووضع قواعد لإقامة البناء ، فالذوق هو الغالب ومنسجم مع الحياة الاجتماعية .

إتسعت دائرة النقد في عهد عبد الملك بن مروان الذي ضرب بسهم وافر في إرساء قواعده التي بدأت تأخذ طريقها لكتب النقد الأدبي بما ضمت من لفتات قوية وحسن توجيه . وقد اعتمد عبد الملك على حسه المرهف وذوقه الأصيل ونقده البناء في توجيه الشعراء حتى قيل إنه الرائد الأول في العصر الأموي ولم يسبقه إلا عمر بن الخطاب الذي كان له نظرات نقدية صائبة .

أنكر عبد الملك بن مروان على الشعر وصف الممدوح بالقوة والشجاعة والبسالة في قتال الأعداء ثم إضفاء الوقار والهدى والجلال عليه وحثهم على وصفه بالقوة والبأس والحزم في قتال الخارجين عليه بدلاً من الصورة البالية التي تصور الصحراء بما فيها من الأسد ، والصقر والبازي وغيره مما هو معاد ومكرور جرى على ألسنة الشعراء كثير منه .

نقد علماء اللغة والبيان:

أسهم كثير من علماء النحو واللغة في البصرة والكوفة في النقد الأدبي بما كان لهم من جدة ودراية ، وصدق نظر ، وقوة حجة ، وعرض سديد ، وتمثل في نقد هؤلاء العلماء الحفاظ على اللغة العربية وقواعدها التي كانت منتشرة وسائدة بينهم فاستخدموها في ضبط الشعر ومعرفة تراكيبه ، وبيئته ، ونظروا من خلالها إلى تحليل النصوص ، فأسس النقد عندهم كانت ترتكز على قواعد اللغة في النحو والعروض وعلى ما قرره الأدب من قواعد وأصول .

فمن علماء اللغة في البصرة : سيبويه ، والنضر ابن شميل ، وحماد بن سلمة ، والخليل بن أحمد ، وعيسى بن عمر الثقفي ، وعبد الله بن إسحاق الحضرمي . ومن متقدمي نحاة الكوفة : الفراء والكسائي ، والرؤاسي ، ومعاذالهراء . وكان هؤلاء النحاة يتبعون كلام العرب ليستنبطوا منه قواعد النحو ، أو جودة الاشتقاق أو الأعاريض التي جاء عليها الشعر ، وهذا الاستنباط جرهم بالضرورة إلى نقد الشعر لا من حيث عذوبته أو رقته أو جماله

الفني بل من حيث مخالفته للأصول التي هداهم استقراؤهم إليها في إعراب أو وزن أو قافية .

ومهما قيل في هذا الاتجاه النقدي من بعد عن الذوق الأدبي أو التركيز على عبقرية الشاعر وأسلوبه وجمال صوره ، فإنهم أدوا ما عليهم في صقل الموهبة نحو قواعد النحو والعروض وغيره من قواعد ضبط اللغة والحفاظ عليها في مظانها الأولى .

وقد كان منهم الرواة والإخباريون وبعضهم برز في رواية الغريب ، والأراجيز ، والنوادر ، والأنساب وغيرها .

المنهج النقدي لمحمد بن سلام الجمحي (١٢٩ - ٢٢١ هـ)

يعتبر هذا العالم الجليل من أقدر علماء العرب الذين أرخوا لنقد الأدب وحددوا معالمه الخاصة والتي لا يعرفها إلا العلماء بالشعر الفاهمون له .

تكلم في كتابه (طبقات فحول الشعراء) عن الخبرة والدربة ، والمهارة ، ودقة الفهم ، وقوة الإدراك التى يرى أنها لازمة للناقد الأدبي حتى يأتي حكمه سليماً على الشعر ودقيقاً في فهمه الصحيح له .

وتكلم عن نظرية الانتحال في الشعر وأحاطها بكثير من الأدلة التي تدل على عمق نقده ، وقوة سليقته في تحقيق النص ، والدقة في نسبته لصاحبه وهي من الدعائم الأولى للنقد الأدبي .

وفكرة كتابه (الطبقات) تتمثل في جعل شعراء الجاهلية في طبقات ، وكذا شعراء الإسلام جاعلاً نهاية حديثه آخر العصر الأموي تقريباً وبهذا لم يذكر من ظهر من الشعراء بعد هذا حتى نهاية حياته .

على أن فكرته السابقة جعلته يلح على الموازنة بين الشعراء ويفاضل بينهم وينزل كل واحد منهم المنزلة التي تليق به .

وقد قسم ابن سلام شعراء الجاهلية عشر طبقات في كل طبقة أربعة شعراء واتبع هذا التقسيم ذكر ثلاث طبقات أخرى هي : طبقة أصحاب المراثي ، وطبقة شعراء القرى العربية ، وطبقة شعراء اليهود ؛ وقسم شعراء الإسلام كذلك في عشر طبقات .

ولا عيب على ابن سلام في هذا التقسيم لأنه يعطي للقارىء مدى الصلة بين التاريخ والأدب ، وأدب أي أمة صورة لها وهو المرآة العاكسة لشئونها السياسية والاجتماعية والأدبية يسجلها في صدق وواقعية ، في موضوعات ذات أساليب مختلفة ، وصور متباينة ، لتبقى في النهاية العنوان الأصيل لحالة الأمة وما كانت عليه من تقدم وعمران أو تخلف وحرمان .

ولعل ابن سلام نسى أن الحضارة قد تنتج ضروبا كثيرة من الشعر ، ويمكن أن يكون قوله السابق منصبا على هذه الأمكنة فصورها هذا التصوير . وقد نظر ابن سلام هذه النظرة وذلك حينما تحدث عن شعراء القرى ، ويعلل قلة الشعر في الطائف ، ومكة ، وعمان وكثرته بالمدينة في قوله : بالطائف شعراء وليس بالكثير وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون من بين الأحياء .

وتكلم ابن سلام عن قضية الانتحال وعرضها في ثوب واضح وكل من جاء بعده ترسم خطاه . وقد

عـرضـهـا على أسس من العـقل والوعي والمنطق الصـائب والرأي الواضح البليغ . ويقـول : وللشـعـر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات ، منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان والناقد هو الذي يصنف ويفرق بين الأشياء .

ثم دلل في وضوح على قضية الانتحال فقال : وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ، ولا حجة في عربيته ، ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائع لم يأخذوه من أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء .

ابن قتيبة والنقد:

أسـهم ابن قـتيـبـة في النقد الأدبي ، وظهرت جـهوده فيـما ألفه من كتب ، خاصة كتابه الشعر والشعراء ، وقد وضح هذا الناقد نظراته النقدية ودلل عليها وأحاطها بالحجج القوية التي كان لها صداها البعيد في النقد الأدبي .

وأول ما قرره في كتابه إنصاف النص الأدبي ، فـهـو يرى أن النص الأدبي ومـا حوى من جـمـال هو موضع الحكم ، ولا ينظر بعد هذا إلى قائله أو عصره حتى لا تتأثر نظرة الناقد بشاعر قديم أو محدث ومن هنا يجب طرح الشعراء جانبا والنظر إلى آثارهم ؛فإن ظهر عليها سمات الإحسان والجودة ، ودقة البراعة وجـمـال الشـاعـرية ؛ حكمنا لهم بالنقـد والسبق وإلا فلا .

وكـان على ابن قـتـيـبـة أن يدعوا الشـعـراء إلى استلهام عاطفتهم حتى ينشئوا شعراً عليه مسحة الأصـالـة وحـرارة الـعـاطـفـة وقوة الشـاعـرية ، فـالشـعـر مصدره العاطفة القوية والخيال المشبوب ، والتجربة الحية الدافقة .

ومن الواضح أن ابن قـتيـبة لم يزد فى نقده عن النقاد السـابقين عليه ولم يحاول أن يأخذ بالنظريات التي نادى بها ويطبقها على الشعر الذي ينقده حتى نتـعـرف على وجـهـة نقـده ، ولم يزد على السـابقـين عليه ؛ كـما أنه لم يتجه إلى الموضوعية في نقد ما ذكره من نصوص ولم يحللها التحليل النقدي الذي يشـهـد له بالدربة وبعد النظر الذي رأيناه عند الآمدى فيـمـا بعـد ، حينـمـا وازن بين البحـتـرى وأبي تمـام . وجل ما فعله في كتابه أنه ترجم فيه لستة ومائتين من الشعراء ، وأورد بعض أخبارهم وقصصهم وعرض لنمـاذج مقتضبة قصيرة من أشعارهم دون تعليل أو تحليل أو مناقشة ، وما ذكر من آراء وأحكام ترجع إلى السابقين في أغلب الأحيان .

والعيب الواضح في نظرات ابن قتيبة يرجع إلى منهجه العقلي ، فهو تقريرى النزعة في كل شئ وهو ينظر إلى الظواهر نظرة منطقية جافة يحكمـهـا العقل ولا تحكمها لغة النص .

لقد عرض ابن قتيبة لقضية اللفظ والمعنى ومسـهـا مساً خفيفاً كرر ما قيل ولم يطورها إلى ما نسميه الشكل والمضمون كما عرض لقضية الطبع والتكلف فلم يوفق أيضاً فى معالجة هذه القضية التي تناولها بالرغم من أنه تكلم كلاماً حسناً حولها ولكن التطبيق خانه في أغلب الأحيان .

عيار الشعر لابن طباطبا العلوي :

نشأ بأصبهان ويرجع نسبه إلى الحسن بن على ابن أبي طالب ، وأخذ العلم من أئمة أهل زمانه ، وكان مشهوراً بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة القصائد ، وقد عاش هذا الشاعر في نهاية القرن الثالث ، والربع الأول من القرن الرابع الهجري وتوفي سنة٣٢٢ هـ .

ويعتبر كتاب عيار الشعر لابن طباطبا من الكتب الهامة في عالم النقد لأن الناقد قد أودعه كثيراً من آرائه فى الشعر والنقد ،وجاءت نظراته مطابقة لنفسه لأنه عانى الشعر والنقد ، وخاض كثير من تجاربها لذا جاءت نظرياته دقيقة العرض واضحة القول قوية البيان .

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى تأثر كثير من العلماء به مثل أبي هلال العسكري صاحب الصناعتين ، والمرزباني في كتابه الموشح ، كما انتفع به المرزوقي في مقدمته لشرح ديوان الحماسة ونقل عنه ، ولم تقصر أهمية الكتاب على هذا بل إن الآمدي صاحب الموازنة المشهورة ألف كتاباً يناقض به كتاب عيار الشعر ويرد فيه على صاحبه .

ألف هذا الكتاب في فترة خصبة من فترات النقد الأدبي ظهرت فيها مؤلفات كثيرة مثل : البديع لابن المعتز ؛ والشعر والشعراء لابن قتيبة ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ؛ ومن هنا كانت أهمية الكتاب .

وقد بدأ كلامه بقوله : الشعر كلام منظوم ،بائن عن المنثور الذي يستعمله في مخاطبتهم بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع ، وفسد الذوق . ويذكر الأدوات التي يجب على من يقرض الشعر معرفتها فمنها التوسع في علم اللغة والبراعة في فهم الإعراب والرواية لفنون الآداب والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم والوقوف على مذاهب العرب وتأسيس الشعر بحيث يكون كالسبيكة المفرغة ، والوشي المنمنم والعقد المنظم واللباس الرائق ،فتسابق معانيه أيقاظه فيلتذ الفهم بحسن معانيه . . . وجماع هذه الأدوات كمال العقل الذي به تتميز الأضداد ووضع الأشياء مواضعها .

ثم عرض ابن طباطبا لطريقة نظم القصيدة . فعلى الشاعر أن يختار المعنى الذي يريد بناء القصيدة عليه ، واختيار الألفاظ المناسبة وكذلك القوافي والأوزان . . . فإذا سلكت له المعاني وكثرت الأبيات سلكها في قصيدة .

وكلام ابن طباطبا في تنظيره للشاعر يدل على شاعرية عميقة وتجربة واسعة وقدرة فائقة على قرض الشعر والتقنين له .

وتحدث ابن طباطبا في اللفظ والمعنى فذكر : أن من أراد معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً فإن حق المعنى الشريف ، ومن حقها أن تصونها عما يفسدها ويهجنها ، ويجب أن يكون لفظك رشيقاً عذباً وفخماً سهلاً وأن يكون ظاهراً مكشوفاً قريباً معروفاً . كما نجد في كتابه مبحثاً عن التشبه الحسّي ، فقد عرض لمعيبه ورائعه وتحدث في وجوه التشبيه وأقسامه وبهذا يكون الكتاب قد ضرب بسهم وافر من الناحية البلاغية .

د . قطب عبدالعزيز بسيونى ـــ

كذلك تحدث عن اللفظ والوزن ولكن المنطق طغى فى كتابه فطبق معرفته على الكليات واتخذ من كلام أرسطو متولاً ينسج عليه فجعل الشعر نوعاً وجعل اللفظ الداخل في تعريفه جنساً . ومنه يتبين الروح العلمية وأسلوب التفكير على منهجه واستبداد الفلسفة والمنطق بعقله في مؤلفاته .

الموازنة بين أبي تمام والبحترى للآمدي:

خطا الآمدي بالنقد خطوة جيدة وجديدة فيها التجديد للنقد والأخذ بيده للأمام وفي كتابه يبرز النقد الأصيل وتظهر صورته الحقة من حيث القدرة على إصدار الأحكام بالرجوع إلى النصوص وموازنتها وتحليلها وإبراز سماتها وخصائصها بعيداً عن التعصب والمحاباة وكل هذا يجعل من الآمدي ناقداً بارعاً جليلاً في علم النقد الأدبي .

يتضح من خلال الكتاب قدرة الآمدي على الإبداع الفني فى الحكم على تناوله للموضوع من جميع زواياه والوقوف على أرض صلبة راسخة في العرض ، الموازنة ، والتحليل .

والموازنة كتاب يخوض في أشعار أبي تمام والبحتري ولكنه يتعرض لكثير من شئون الشعر العربي والمحدث فيه بخاصة .

في البداية يوضح منهجه في كتابه فهو لا يطلق القول في الحكم على الشاعرين أيهما أشعر لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر فالناس لم يتفقوا على أى الأربعة أشعر؟ امرئ القيس والنابغة وزهير والأعشى ، ولافي جرير والفرزدق والأخطل ، ولا في بشار ومروان وأبي نواس وأبي

العتاهية ومسلم العباسي الأحنف لاختلاف آراء الناس في الشعر وتباين مذاهبهم فيه . أما أنا فلست أنصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكنى أقارن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما اتفقا في الوزن والقافية ، وبين معنى ومعنى ثم أقول أيهما أشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى ؟ثم احكم أنت حينئذٍ إن شئت على أيهما بالجيد أو الردىء .

ومن الملاحظ أن الآمدي أظهر بوضوح عدم تحيزه لأحد الشاعرين ضد الآخر ، بل جعلهما على المسرح أمام الناقد ووضع بجانبهما أعمالهما ثم ترك الحكم النهائي للأعمال نفسها فهي التي تترجم في صراحة وصدق ويقين عن الشاعرين بدون خطأ .

تعرض لسرقات أبي تمام ، وإحالاته ، وغلطه وساقط شعره ، ومساوىء البحتري في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام وغير ذلك ، ومن غلطه في بعض معانيه ؛ ثم وازن بين شعريهما ، بين قصيدة وقصيدة إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى ، ثم ذكر ما انفرد به كل شاعر من التشبيه وغيره . وبهذا الإجمال خطا الناقد خطوة غير مكرورة بموازنته بين الشاعرين ، وراح يحلل غوامض الكلام ويبسطه للقارىء حتى يحكم على بينة .

القاضي الجرجاني والوساطة :

هو العالم الأديب على عبد العزيز بن الحسن الجرجاني . له كتاب في تفسير القرآن الكريم ، وكتاب تهذيب التاريخ ، وله كتاب الأنساب . ولد في جرجان سنة ٣٦٦ هـ ومات بالرى سنة ٣٩٠ هـ .

وكتاب الوساطة للقاضي الجرجاني متماسك الأطراف مترابط الأفكار عليه مسحة الأصالة وقوة البيان .وكتاب يعبر في قوة عن شخصية الأديب الناقد والقاضي البارع فى ذوقه .

ويرجع السبب في تأليف هذا الكتاب إلى اتساع الخصومة حول المتنبي وكثرة الآراء حوله فأراد القاضي أن يتوسط المادحين والقادحين وينظر بعين الناقد الخبير لكل ما قيل هناك من آراء .

ومنهج الكتاب يقوم على مقدمة أوضح فيها القاضي الجرجاني نظراته إلى النقد والأدب بين النظريات النقدية التى اعتمد عليها وجاء بها .

رمى أعداء المتنبى بالخطأ ؛ فيذكر أن الخطأ ؛ شائع عند جميع الشعراء ، بل لم يسلم منه الأوائل من الشعراء وعلى هذا لا ينقص من قدر المتنبي ما وقع في شعره من أخطاء وقال : (ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه إما في لفظه ونظمه أو ترتيبه وتقسيمه أو معناه وإعرابه) .

وأخذ الجرجاني يسرد كثيرًا من الأخطاء التي وقع فيها الشعراء القدماء سواء أكانت في النحو أم في المعاني ليدلل على أن المتنبى ليس إلا وحيداً في سلسلة الشعراء .

الجرجاني مدافع يذود عن موكله لا ناقد يناقش ما أخذ على الشاعر من أخطاء وعيوب فنية ، والفرق شاسع بينه وبين الآمدي الذي نظر إلى النص نظرة موضوعية يقلب فيها المعاني وينظر في الصياغة ويفضل الأوجه في كل بيت أو معنى يعرض له .

وتحدث عن الشعر ووضح أن الشعراء درجات فهم متفاوتون، والشاعر الحق هو الذى اكتمل عنده كثير من الأسس الفنية حتى يأتي شعره في مرتبة عالية من الجودة والجمال، ولابد أن تظهر شاعرية الشاعر بالقدرة على الجمال والأداء وبراعة الخيال مع الذكاء والدربة ولطبع الرواية وغير ذلك مما يحتاج إليه الشاعر الأصيل ولاشىء يفسد رونق الشعر غير التكلف فهو عنوان النقل والجمود ويدل على عدم البراعة وضعف الابتكار.

وأحسن الجرجاني حينما تكلم في الجناس والطباق والاستعارة؛ فالشاعر الموهوب عنده من اجتهد في تحسين الاستهلاك والتخلص وبعدهما الخاتمة. فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء وخاض في التخلص والختام.

ثم يوضح الجرجاني مذاهب النقاد في زمانه فمنهم من ينظر إلى سلامة الأسلوب، وجلال الأداء وسلامة الإعراب ومتانة الأوزان، ويعجب بالألفاظ الجميلة الموشاة بالبديع وطلاء الأساليب ولكنه ينسى وحدة القصيدة، وسلامة فكرتها ،واتساقها مع بعضها وما فيها من سوء الترتيب، وهلهلة الأبيات ومن يأخذ هذا المسلك كان كمن يحكم على الظاهر فقط ولا يتغلغل فى أسرار الأساليب وما لها من صلات وما بينها من اتحاد. ومنهم من يولع بالأساليب الغامضة ويذهب فيها كل مذهب مع أنها تحتاج إلى استعداد خاص.

والناقد الحق هو من بعد عن التعصب وتوافرت فيه المواهب الخاصة بالنقد وكان على جانب كبير من الطبع الصافي والذوق الخبير.

كذلك نظر الجرجاني في نقاد المتنبى وكلام خصومه فوجدهم يتوقفون عند أبيات مفردة فيها ألفاظ نسبت إلى اللحن فى الإعراب وادعى فيها أصحابها الخروج عن اللغة ومعاني وصفت بالفساد والاختلال والتناقض والاستهلاك فى المعاني ومنها قصرت عن الغرض، وكذلك التعقيد والغموض واستهلاك المعاني وفساد الاستعارة والإفراط في الصنعة.

ولكن الناقد رغم كل هذه العيوب لم يناقش هذه المشكلات بواقعية وفنية بل عالجها بالإفراط في سرد عيوب الآخرين.

وبعد كانت هذه إطلالة سريعة على كتاب ملامح النقد العربي في القديم للدكتور عبد الرحمن عبد الحميد. ولأن مساحة الكتاب واسعة والمادة العلمية كبيرة شملت عصوراً كثيرة ومصادر عديدة ومتنوعة فقد كان الكتاب سريع اللمح واللقط دون تعمق في المسائل بما يجب أن يكون عليه التحليل النقدي العميق.

ومع ذلك لا ننكر فضل صاحبه في رسم الخريطة العامة في حركة النقد القديم مرتبطاً بالتقسيم السياسي دون النظر إلى مسار حركة النقد وتطوره.